أفكار ومقترحات مصطفى رشيد باشا الإصلاحيَّة في الدولة العثمانيَّة، من خلال رسالته إلى بالمرستون 11 أوت 1839م، للمؤرِّخ التُّركي تورغوت سيباسي (ترجمة وعرض)

Mustafa Rashid Pasha's reform ideas and proposals in the Ottoman Empire, through his letter to Palmerston on August 11, 1839 AD, by the Turkish historian Turgut Subaşi (View and translate)

حسن بربورة * [1]،

[1] مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور، جامعة المدية barbora.hacen@univ-medea.dz

أ.د/ الغالي غربي[2]

[2] مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور، جامعة يحي فارس المدية kaligherbi@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 08 /2023/12 **تاريخ القبول:** 01 /2024/01 **تاريخ النشر:** 31 /2024/01

ملخص:

نستعرض في هذا المقال ترجمةً للعمل الذي أنجزه المؤرخ التُّركي "تورغوت سيباسي"، وعرضًا لوثيقةٍ سريَّةٍ هامَّةٍ للغاية، على شكل مخطوطٍ كُتِبَ باللُّغة الفرنسيَّة، مُرسلةٌ من طرف السفير العثماني في انجلترا مصطفى رشيد باشا، إلى وزير الخارجيَّة البريطاني "اللورد بالمرستون" بتاريخ 11 سبتمبر 1839م، نَاقَشَ فيها أوضاع الدَّولة العثمانيَّة، وأفكاره الإصلاحيَّة، حيث نجح في الحصول على دعمه لبرنامجه الإصلاحي، لإدراك الحكومة البريطانيَّة أهميَّة وحدة واستقلاليَّة الدَّولة العثمانيَّة لضمان الأمن في أوربا.

الكلمات الدالة: العلاقات الإنجليزيَّة–العثمانيَّة؛ مصطفى رشيد باشا؛ بالمرستون، الإصلاحات؛ القرن 19م.

Abstract:

In this article, we review a translation of the work completed by the Turkish historian Turgut Sebasi, and a presentation of a very important secret document., in the form of a manuscript in the French language, sent by the Ottoman ambassador to England, Mustafa Rashid Pasha, to the British Foreign Minister, "Palmerston" on September 11, 1839, In which he discussed the conditions of the Ottoman Empire and his reform ideas, and succeeded in obtaining support for his reform program.

Keywords: Anglo-Ottoman Relations; Mustafa Rashid Pasha; Palmerston; Reforms; 19th century.

المؤلف المرسل: حسن بربورة، barbora.hacen@univ-medea.dz

1. مقدمة:

كان الإصلاح هو العنوان الرَّئيسي لوقائع القرن 19م، ونقطة التَّحوُّل بين نفوذ الدَّولة العثمانيَّة والنُّفوذ الأوربي من جهةٍ، وطموحات القوى المحليَّة بطلب دورٍ أكبر من جهةٍ ثانيَّةٍ، القرن 19م الذي كانت فيه أطماع دول أوربا الاستعماريَّة ورغبتها في تفكيك الدَّولة العثمانيَّة، ومن ثمَّ السَّيطرة عليها، قد دخلت مرحلة التَّنفيذ وقد ظهر في هذه المرحلة كثيرٌ من رجال الدَّولة المصلحين (رجال التَّنظيمات)، لعلَّ أبرزهم السَّفير مصطفى رشيد باشا (1800-1858م)، صاحب الفضل في قيام النِّظام الدُّبلوماسي العثماني الجديد، و"أب التَّنظيمات"[1]، إضافةً إلى قادة حركة التَّنظيمات الآخرين: محمد أمين عالي باشا (1815-1871م)، ومحمد فؤاد باشا (1815-1869م).

فكيف شخَّص مصطفى رشيد باشا في رسالته إلى بالمرستون واقع الدولة العثمانيَّة خلال بدايات القرن 19م؟ وعلاقته بالسُّلطان محمود الثَّاني؟ وما مدى مساهمة الأفكار الاصلاحية التي طرحها على الوزير البريطاني بالمرستون للحصول الدعم البريطاني؟

2. لمحة عن السَّفير مصطفى رشيد باشا

مصطفى رشيد باشا Mustafa Reşit Paşa من مواليد 13 مارس 1800م بمدينة استانبول[2]، تربَّى في وسط عائلةٍ فقيرةٍ وجدُّ متواضعةٍ حيث كان والده سيد مصطفى أفندي متولي الملقب "الروزنامجي" من موظَّفي الأوقاف الخيريَّة في استانبول[3]، أما جدُّه "عبد الكريم أفندي ولي الدين آغا" فقد كان مسؤولًا عن إدارة مسجد السُّلطان بايزيد الثَّاني[4].

وقد درس مصطفى العلوم الدينيَّة منذ صغره، إلَّا أنَّ تعليمه تأخَّر بسبب وفاة والده وضعف إمكاناته المادِّية، حيث درس القرآن الكريم في المسجد وتلقَّى مبادئ العلوم الإسلاميَّة وأجاد الخط ثمَّ تلقى تعليمًا في إحدى المدارس القريبة لدراسة العلوم الجديدة وبعض مبادئ اللُّغة الفرنسيَّة[5]، وبعد وفاة والده سنة 1815م، تكفَّل به صِهرُهُ (زوج شقيقته) علي باشا الاسبرطلي ورافقه عند تعيينه واليًا على "المورة" Morea سنة 1816م، ثم بروسة Prusa في أوت 1816م كما لازمه عند شغله الصَّدارة العظمى في الفترة 1820-1822م، وفي ولايته على "المورة" للمرَّة الثَّانية سنة 1822م، وقد تعلَّم خلال تلك المرحلة كيف تُدَارُ أمور الدَّولة[6]، ولما بلغ سنَّ الثَّامنة

والعشرين من عمره عُيِّن كاتباً بالجيش، وبفضل مساندة علي باشا تسنَّى له العمل كأمينٍ للباب العالي (السِّكرتير الأوَّل للآمدي) وهي خدمةٌ مسؤولةٌ عن إدارة الشُّؤون الدَّاخليَّة والخارجيَّة للدَّولة سنة 1832م[7] ونظرًا لجهوده الكبيرة في تلك الوظيفة وإجادته للُّغات الأجنبيَّة عيَّنه السُّلطان محمود الثَّاني لاحقًا كاتبًا لتحرير "صُلح أدرنة" عام 1829م[8].

سمحت حنكة وتجربة مصطفى باشا بِتَدَرُّجِهِ في سلم الوظائف حتى صار وزيرًا لديوان القصر السُّلطاني، ونتيجةً لخدمته في إدارة البلاد، واتِّصاله ببعض رجال السِّياسة من السُّفراء الأجانب في استانبول اكتسب مزيدًا من الخبرات والمعلومات عن تلك الدُّول، ما فتح له المجال للاطِّلاع على الحضارة الأوربيَّة[9]، وفي عام 1834م فتح السُّلطان محمود الثَّاني سفاراته في العواصم الأوربيَّة من أجل تخليص الدَّولة العثمانيَّة من العزلة التي تتعرَّض لها، ودفع الخطر الرُّوسي[10] والتَّمكُّن من حل المسألة المصريَّة، ومحاولة إيجاد حل للمشكلة الجزائريَّة[11]، وعن طريق تلك السِّفارات جرى تدريب المصلحين ومن بينهم مصطفى رشيد باشا، الذي تمَّ تعيينه سفيرًا مفوَّضًا على فتراتٍ متقطعةٍ في كل من باريس ولندن[12].

وقد نضجت خبرة رشيد باشا الدُّبلوماسيَّة خلال فترة عمله سفيرًا في باريس، وفَهِمَ بعض خبايا الدَّور البريطاني وقُدرَتِهِ على حسم النِّزاع العثماني المصري، ولَفَتَ أنظار الباب العالي إلى ضرورة استثمار ذلك لمصلحة استانبول وعاد ليؤكِّد على وجهة نظره، ويقترح تدعيم العلاقات العثمانيَّة البريطانيَّة، فلم يجد السُّلطان محمود الثَّاني أمامه إلَّا تكليفه بتولي أمور سفارته في لندن وصدر قرار الباب العالي في 13 سبتمبر 1836م، بتبادل مصطفى رشيد سفير الدولة العلية في باريس، ونوري أفندي سفير إستانبول في لندن مواقعهما الدبلوماسيَّة، وأوضح أنَّه يعول كثيرًا على رشيد باشا الذي برهن أنَّه أكثر الدُّبلوماسيِّين خبرةً ودرايةً في تنفيذ الإستراتيجيَّة العثمانيَّة، فيما يتعلَّق بتسوية الصِّراع العثماني المصري، وغيره من المشاكل السياسيَّة التي كانت تواجه الباب العالي[13]، لينقل أفكاره بشأن الدَّور البريطاني في الصِّراع العثماني المصري إلى حيز التَّنفيذ[14].

وساهم من هناك في كتابة التَّقارير التي تَحُثُّ المسؤولين العثمانيِّين على المضِي قُدُمًا في الاقتباس من الأنظمة والقوانين الغربيَّة لإجراء الإصلاحات في الدَّولة العثمانيَّة[15]، كما شجّع السُّلطان محمود الثَّاني على القيام بإجراء إصلاحاتٍ واسعةٍ، والتَّركيز على ضرورة تعلُّم اللُّغات الأوربيَّة، فأنشأ السُّلطان مكتبًا للتَّرجمة، تلتهُ بعد ذلك مكاتب مشابهةً في شتَّى إدارات الحكومة[16]، كما تولَّى مصطفى رشيد بعد عودته من أوربا منصب وزارة الخارجيَّة

في الدَّولة العثمانيَّة لأوَّل مرَّةٍ في جويلية 1837م[17]، ليُبَاشِرَ تنظيم هياكلها الإداريَّة، وتنفيذ سلسلةٍ من الإصلاحات، من خلال العمل على القضاء على الفساد والرَّشوة، وتسريح عددٍ من الموظَّفين الذين ثبت فسادهم، وانتقاء العناصر الجيِّدة للعمل داخل ديوان الوزارة، وعقد الاتفاقيَّات والمعاهدات الخارجيَّة لكسب تأييد الدُّول الأوربيَّة[18].

كان مصطفى رشيد باشا دائم الاتِّصال بالفئات المثقَّفة من المجتمع العثماني والتَّعرُّف عليهم عن كثبٍ، كالأدباء والصحفيين والنُّقَّاد، ودفعه ذلك إلى حضور المهرجانات الثَّقافية والسِّياسيَّة، كما كان على اطلاعٍ بخطط ومصالح الدُّول الأوربيَّة تجاه الدَّولة العثمانيَّة، ما شجَّعه إلى دفع دولتهُ لتبني الإصلاح، لوضع حدٍّ لتدخُّلها بالشؤُون الدَّاخليَّة للدَّولة العثمانيَّة[19]، وربطته علاقات صداقة وطيدة بالعديد من الشخصيات الأوربية، خاصَّةً ممثلي الشؤون الخارجية البريطانية: جون بونسنبي، جورج هاملتون أبردين، هنري جون بالمرستون، وستراتفورد كانينج[20]، ما ساعده في إنجاح برنامجه الاصلاحي.

وبذلك يُعتبر رشيد مصطفى رشيد باشا –كما يؤكد جودت باشا في مُذكِّراته– "واضع أُسُس النِّظام الدبلوماسي العثماني الجديد في الدَّولة العثمانيَّة"[21] حيث تشبّع بالفكر الإصلاحي الأوربي، وظهرت أفكاره في أوَّل ميثاقٍ دستوريٍّ للدَّولة العثمانيَّة والذي تمَّ إعلانه سنة 1839م، وظلَّ يدافع عن أفكاره الإصلاحيَّة حتى وفاته سنة 1858م[22].

3. ظروف كتابة المذكِّرة والدِّراسات السَّابقة حولها

لقد كان لمصطفى رشيد باشا كسفيرٍ عثماني في لندن للمرَّة الثَّانية[23]، وبصفته أيضًا وزيرًا للشُّؤون الخارجيَّة، علاقاتٍ جيدةٍ مع وزير الخارجيَّة البريطاني اللورد بالمرستون Lord H . J . Palmerstone[24]، حيث نجح في الحصول على دعمه لبرنامجه الإصلاحي، لإدراك الحكومة البريطانيَّة أهميَّة وحدة واستقلالية الدولة العثمانيَّة لضمان الأمن في أوربا، وقبل مغادرته لندن باتجاه استانبول، أرسل إلى بالمرستون رسالةً سريةً هامَّةً للغاية، بتاريخ 11 سبتمبر 1839م، نَاقَشَ فيها حالة الدَّولة العثمانيَّة وأفكاره الإصلاحيَّة، وقد صادف المؤرِّخ التركي "تورغوت سيباسي" Turgut Subaşi هاته الوثيقة في مكتب السِّجلات العامَّة في انجلترا Public Record Office، بينما كان بِصَدَدِ دراسته حول العلاقات البريطانيَّة العثمانيَّة في فترة التَّنظيمات، والرِّسالة على شكل مخطوطٍ، كُتِبَ باللُّغة الفرنسيَّة، وعلى الأرجح أنَّه كُتِبَ بخطِّ يد رشيد باشا، والجدير بالذِّكر أنَّ رشيد باشا قام بإرسال المذكِّرة بعد

يومٍ من اجتماعه بالملكة فيكتوريا Queen Victoria لتوديعها، ويُفهَمُ من الرِّسالة التي كتبها لاحقًا مُترجِمُ السِّفارة العثمانيَّة في لندن "سلَّام" Salame أنَّ رشيد باشا حَضَرَ الاجتماع دون أيَّ مُترجِمٍ على غير العادة[25].

كان الاجتماع يوم 10 أوت 1839م[26]، ليعقد رشيد باشا في اليوم الموالي اجتماعًا مُنفَصِلًا مع بالمرستون[27]، لكن لا يوجد أيَّ توثيقٍ له، غير أنَّه يمكن التَّخمين عمَّا نُوقِشَ فيه، وعلى الأرجح أنَّه نَاقَشَ موضوع المذكرة، والتي شرح فيها رشيد باشا لماذا يجب على إنجلترا دعم الدولة العثمانيَّة، والتَّطوُّرات المحتملة إن لم تدعمها[28]، كما أنَّه من الواضح أنَّ رشيد باشا قد انتهى من كتابة الوثيقة بعد فترةٍ من موت السُّلطان محمود الثَّاني بداية جويلية، ولا يمكن كتابتها في يومٍ واحدٍ، خوفًا على حياته أثناء حياة السلطان محمود الثاني[29]، حيث كان مُتردِّدًا من إبداء آرائه حتى مجيء السُّلطان الجديد عبد المجيد (1839-1861م) ليكون مَوقِفَهُ أقوى[30].

مذكرة رشيد باشا هي وثيقةٌ مُهمَّةٌ، لكنها لم تَحظَ باهتمام المؤرِّخين، ومن الملاحظ أنَّ المؤرخ "تمبرلاي" Harold Temberley لم يكن مهتمًّا بها بقدر اهتمامه بحوادث أقل شأنًا في الدبلوماسيَّة العثمانيَّة (حين ترك رشيد باشا غلَّايته النُّحاسيَّة وتبغه في "دوفر" Dover، واضطرَّ إلى مطالبة بالمرستون باستعادتها، ومساعدته على استيراد 600 زجاجة من النبيذ الفرنسي إلى انجلترا معفاة من الرُّسوم الجمركيَّة)، ورغم أنَّ تمبرلاي اطَّلع على الوثيقة، إلَّا أنَّه لم يُشِر إليها مُباشرةً، لكنه أشار في ملاحظته إلى رودكي Rodkey قائلًا: أنَّه "أَضَافَ مُذَكِّرَةَ رشيد حول الإصلاح"[31].

المؤرِّخان رودكي Frederick Stanley Rodkey، وبايلي Frank E. Bailey فقط، من قَامَا بنشر نصِّ المذكرة بدون وضع أيَّ تعليقٍ، باستثناء "رودكي" الذي يُؤرِّخُهَا في 12 سبتمبر 1839م، ويذكر بأنَّها آخر أعمال رشيد باشا الرَّسمية قبل عودته لإستانبول[32] وكتب الرِّسالة في لندن بعد ارساله للتَّفاوض بشأن معاهدة التَّحالف الدفاعي الأنجلو-عثماني ضدَّ والي مصر محمد علي باشا[33]، ويُضيف "رودكي" بأنَّ رشيد باشا ورغم الدَّعم البريطاني، فإنَّه لم يتمكَّن حينها من الحصول على ضماناتٍ واسعةٍ النِّطاق من الحكومة البريطانيَّة كما كان يرغب الباب العالي، وتمكَّن بعد عودته من إصدار خط الإصلاح الهمايوني في الدَّولة العثمانيَّة سنة 1839م، بتأثيرٍ من اللورد بالمرستون[34].

وبالرَّغم من أنَّه كان واضحًا أنَّ رشيد باشا لم يكن يُمثِّلُ حُكومته في المذكِّرة، إلَّا أنَّها تَضَمَّنت آراءه الشَّخصيَّة، وأدَّت إلى تغيير أفكار بالمرستون حول الدَّولة العثمانيَّة[35]، ومن المفاجيء أنَّ المؤرِّخ "وابستر" **Charles Webster**[36] الذي كان بحثه حول السّياسة الخارجيَّة لبالمرستون مُفصَّلًا وشاملًا، لم يَقُم بأيَّ ذِكرٍ لهاته الوثيقة، ولا المؤرخين: بايسن **Baysun**[37]، أو كارال **Enver Ziya Karal**[38]، أو أحمد ايرن **Ahmet Cevat Eren.**[39]

4. انتقادات رشيد باشا لحكم السُّلطان محمود الثَّاني

انتقد رشيد باشا السُّلطان محمود الثَّاني بعد قضائه على الانكشارية[40] وتفرُّده بالسُّلطة، وعدم رغبته في الاستماع لأيَّ رأيٍ مُخالِفٍ "كان يرغب في استشارة نفسه فقط"، ومع ذلك لم يُنكر أنَّ السُّلطان أَظهَرَ القوة في مُنَاسَبَاتٍ كُبرى، رغم محدُوديَّة اطِّلاعه بالإدارة[41].

ووفقًا لرشيد باشا فقد كان السُّلطان محمود الثَّاني يفتقر إلى إدارة الحُكم، وإرضاءً لغروره وكبريائه وَجَبَت موافقته، أمَّا إذا غامر بعض أصدقاء الحقيقة الشُّجعان بالتَّعبير عن رأيٍ مُخالِفٍ لرأيه، يُكافأون بالموت أو بمصادرة ممتلكاتهم، كما أنَّ المحيطين به من رجال الدَّولة يتلاعبون به، و يُدبِّرُون المكائد لكل من لا يتَّفقُون معه في الرَّأي ولو وصل الأمر حدَّ تدبير موته بالسُّم أو بوسائل أخرى، ويَتَّهِمُ رشيد باشا السُّلطان في مُذكِّرته بمعرفته كيفيَّة التَّخلُّص من الآراء غير المرغوب فيها، ما يجعل الجميع يتردَّد في التَّعبير عن رأيه خوفًا من نفس المصير[42].

لذا كان رشيد باشا يعتقد أنَّ وفاة السُّلطان محمود الثَّاني سَتُقَلِّلُ من مشاكل حكومة الباب العالي، لكنَّه كان يخشى ألَّا تهدأ تدخلات رجال الدَّولة المهمِّين، كما كان قلقًا من أنَّ السُّلطان الجديد عبد المجيد الأوَّل سيكون أكثر عُرضَةً للمُؤامرات من داخل الدَّولة وخارجها، وأنَّه في ظِلِّ حُكمِهِ قد تُصابُ الدَّولة بأمراضٍ أكبر ممَّا كانت عليه في عهد وَالدِهِ، واعتقد أنَّ الباب العالي في حالةِ أزمةٍ شديدةٍ، حيث حثَّ بالمرستون على التَّدخُّل في الإدارة الدَّاخليَّة للباب العالي مع مُراعاة بعض القيود، ومع ذلك فقد توقَّع اعتراضاتٍ على هذا الاقتراح بسبب خُضوع المسلمين لقوانين الشَّريعة الإسلاميَّة وتَعصُّبِهم للقرآن، وادَّعى أنَّ هذه الاعتراضات يمكن التَّغلُّب عليها، لأن اقتراحه كما يعتقد هدفه الخير للنَّاس، علاوةً على ذلك فهو يتعلَّق بالتَّحالف مع كُلِّ القوى الأوربيَّة، وليس بدولةٍ واحدةٍ بمفردها، فلن يكون ذلك بمثابة أفضليَّةٍ لأيِّ دولةٍ منهم للتَّدخُّل في الشُّؤون الدَّاخلية للباب العالي، وبهذه الطريقة يقول رشيد باشا يمكن للسُّلطان الشَّاب أن يُوجَّه في الاتجاه الصحيح[43].

لقد خسر العُلماء الكثير من سُلطتهم على المجتمع، وعلى أيِّ حالٍ فإنَّ الإصلاحات المقترحة لن تُقَلِّلَ بأيِّ حالٍ من الأحوال قوانين الشَّريعة الإسلاميَّة (هو قولٌ لا تؤكده اللَّوائح والتَّشريعات التي جرى تطبيقها خلال مرحلة التَّنظيمات)، وسيجد قادة الدَّولة في ذلك فرصةً لكسب تأييد القوى الأوربيَّة[44].

5. رُؤى رشيد باشا الإصلاحيَّة والعلاقات الأنجلو–عثمانيَّة

أشار رشيد باشا في وثيقته إلى الموقع الاستراتيجي للدولة العثمانيَّة، الذي يُساهم في تقوية التِّجارة مع الدُّول الأوربيَّة، ونَاقَشَ سُلوكيَّات المجتمع، ورَأَى أنَّه بعد مُدَّةٍ قصيرةٍ من اعتماد النِّظام الجديد سيحصل المجتمع على نتائج مُربحةٍ، وأَشَارَ إلى أنَّ التَّسيير السَّيء للشُّؤون الدَّاخليَّة من طرف الباب العالي[45] كان كارثيًا بالنِّسبة للشَّعب، وأنَّ الإصلاحات (المزعومة) أَضَافَت خِزيًا للأنظمة المستبدَّة الماضية، وأَضَافَ أنَّه عندما تُطبَّقُ الدَّساتير الجديدة بحكمةٍ وعدالةٍ، سيختبر كُلَّ فردٍ إيجابيات النِّظام المؤسَّسِي ويزول الطُّغيان، وتنمو المحبَّة للحكومة، ويفوز المجتمع بالابتكارات المفيدة، فالتَّطوُّر السَّريع للإصلاح الحقيقي ينشأ من حُبِّ النَّاس فقط، وسيتبع ذلك التَّجديد الحتمي للجيش العثماني[46].

واستمرَّ رشيد باشا في اتهام السُّلطان محمود الثَّاني باستخدام الشَّريعة الإسلاميَّة والقرآن ذريعةً لمقاومة حلول الخلافات الأخيرة، بينما يتجاهل في الوقت نفسه شرائع الإسلام كلَّما كان ذلك يناسبه، وأَعرَبَ عن ثقته في أنَّ أيَّ إصلاحاتٍ يتبنَّاها الباب العالي، وتُعطي مزايا حقيقيَّةٍ للمجتمع سَتُقَابَلُ بموافقةٍ عالميةٍ. فقد ولَّدت مقاومة الإصلاح التي أبدتها دول مثل: البوسنة، ألبانيا وكردستان (إقليم) خوفًا من أن تُصبِحَ المؤسَّسات الجديدة مصدرًا إضافيًا للاضطهاد في المستقبل، وحتى القِوَى التي كانت حكوماتها تعترضُ بشكلٍ مُطلقٍ على الإصلاحات المقترحة، كونها لم تتجاوز تأمين ضمان أرواح النَّاس وممتلكاتهم، حيث كانت إراقة الدماء وسلب الممتلكات بدون أيِّ دافعٍ، إلَّا دافع الكراهيَّة والانتقام. فتلك جريمةٌ لم يكن ليتسامح عليها أيَّ قانونٍ من قوانين الدُّول الأوربيَّة، ولذلك فلن ترفض أيَّ دولةٍ مساعدتها، لأنها كانت مسألةٌ إنسانيَّةٌ، علاوةً على ذلك فإنَّه عندما كانت النمسا وروسيا ترغبان في السَّماح لولاشيا، مولدافيا وصربيا لاعتماد دساتيرهم الخاصَّة، كان رشيد باشا مُتيقِّنًا أنَّه من المستحيل أن تقف أيَّ قوةٍ أمام محاولة المسلمين الحصول على ضماناتٍ بسيطةٍ لحياتهم وممتلكاتهم، وهكذا فإنَّ المقترحات التي قَدَّمَتَهَا أوربا إلى الباب العالي لن تَلقَى أيَّ اعتراضاتٍ من خارج البلاد، بالإضافة إلى ذلك سَيُرَحِّبُ الرَّعايا المسيحيِّين للباب العالي بالإصلاحات، ويرون فيها "أَقوَى عُنصُرٍ للتَّجديد"، ومع ذلك كان رشيد

باشا مُتيقِّنًا أنَّه لضمان حُرِّية الباب العالي، وسلامة أراضي الدولة العثمانيَّة يجب تطبيق القوانين الأوربيَّة، التي تَحضُرُ قَتلَ الرَّعايا ومصادرة ممتلكاتهم، ما لم تتطلَّب العدالة ذلك، وهذا ما يُمليهِ القرآن الكريم[47].

واقترح رشيد باشا أنَّه إذا كان ينبغي للإصلاحات المقترحة أن تواجه صُعُوباتٍ وعَقَباتٍ في تنفيذها، فعلى سُفراء الدول الأوربيَّة أن ينصحوا الديوان بأن افتقار رعاياه للأمن، كان سببًا في مثل هاته المشاكل، كمشكلة تخلف الشَّعب على الرَّغم من كفاءته، وعصيان الباشا (محمد علي)، وتأسيس حكوماتٍ مستقلَّةٍ من قبل ولاشيا، مولدافيا وصربيا، واستقلال اليونان، وإذا استمرَّ الباب العالي في تكرير أخطائه فسيصبح أضعف، وتلك القِوَى التي كانت ترغب في الحفاظ على الدولة العثمانيَّة، سَتُصَابُ بالإحباط وتَسحَبُ دَعمَهَا، أمَّا إذا قام الباب العالي بتنفيذ الإصلاحات وضمان سلامة الأشخاص وممتلكاتهم "تَحتَ حُكمٍ رَشِيدٍ، وقَوانِينَ مُطَبَّقَةً بِأَمَانَةٍ"، فإنَّ الدول الأوربيَّة لن تخذله[48]. واختتم رشيد باشا حديثه بالقول أنَّ الدول الأوربيَّة كانت على عِلمٍ بعمليات الإعدام التي نفَّذها الباب العالي سِرًّا، وعمليات سفك الدماء من قبل الباشا (السُّلطان) في المقاطعات، كانت هذه الجرائم كافيةً لترهيب شُعُوبِ أوربا للأبد. لذا يجب جعل الباب العالي يستمع إلى تمثيليات (سفارات) الدول الأوربيَّة "Lui faire (Sublime Port) entendre ces représentations sévères et d'autres semblables serait un acte de la plus haute importance"، وربما عاش رشيد باشا نادمًا على هاته الجملة الأخيرة، لأنها ربَّما أعطت السَّفير البريطاني في استانبول ستراتفورد كانينج[49] سلطة التَّدخُّل في الشُّؤون الدَّاخلية للدَّولة العثمانيَّة لاحقًا[50].

لقد كان لدى رشيد باشا سببٌ مُهِمٌّ لتقديم المذكرة إلى بالمرستون، فقد كان على يقينٍ أنَّه إذا تمَّ إقناع بريطانيا من إبعاد نفسها عن الخطة الرُّوسيَّة لتقسيم الدَّولة العثمانيَّة[51]، فسيكون لها حظٌّ كبيرٌ في النَّجاة، وأَوَّلُ نقطةٍ ذَكَرَهَا في وثيقته كانت حول الموقع الجغرافي المتميِّز للدولة العثمانيَّة بالنسبة للتِّجارة الأوربيَّة، وذلك ما لم تستطع بريطانيا تجاهله، حيث أكَّد رشيد باشا على أهميَّة استقلاليَّة الدولة العثمانيَّة للقِوَى الأوربيَّة، وخاصَّةً بريطانيا، نظرًا لتجارتها مع الهند، في وقتٍ كان التَّأثير الرُّوسي في تزايدٍ بعد معاهدة "هونكار اكسيليسي"[52].

ليس من الصَّعب إذًا أن نفهم لماذا انتقد رشيد باشا الإصلاحات العثمانيَّة السَّابقة، والسُّلطان محمود الثَّاني نفسه، فلقد استمرَّت معاناة العثمانيِّين بسبب الاستعمال السَّيئ للسُّلطة، ولم يكونوا راضين عن الإدارة، حيث أَوضَحَ رشيد باشا أنَّ المحاولات السَّابقة للإصلاح باءت بالفشل لأنَّها لم تكن مبنيَّةٌ على مَبَادِئَ حكيمةٍ وقويَّةٍ من شأنها أن يَتَّبِعَهَا جميع المسؤولين، بدلًا من ذلك كانت السُّلطة في أيدي الوزراء الانتهازيِّين والسُّلطان،

بالإضافة إلى ذلك يشتكي رشيد باشا من أنَّ السُّلطان كان سهل التَّعرُّض للتَّلاعب من المقرَّبين منه، كَونَ فَهمِهِ للإدارة محدودٌ، ومع ذلك فإنَّ هذا لا يعني أنَّ رشيد باشا كان يُقَلِّلُ من سُلطة محمود الثَّاني، وربَّما أنَّ ملاحظاته تعكس حقيقة أنَّ السلطان قد حَكَمَ عليه بالإعدام[53].

حاول رشيد باشا إقناع بالمرستون أنَّ برنامجه الإصلاحي كان مُختَلِفًا عن البرامج الأخرى، في ظلِّ المبادئ المقترحة التي من شأنها أن تحمي الدولة العثمانيَّة وقُوَّة السُّلطان، شرط الدَّعم الكافي من أوربا، ومع ذلك كان رشيد باشا قَلِقًا من صِغَرِ سِنِّ السُّلطان عبد المجيد وقِلَّة خبرته، وأَشار إلى بالمرستون أنَّ تلك كانت فُرصَةً لتوجيهه في الاتجاه الصَّحيح[54].

وعلى الرَّغم من أنَّ الأزمة المصرية[55]كانت سَبَبًا لقلق الباب العالي، إلَّا أنَّ رشيد باشا لم يكن يعتقد أنَّها القضيَّة المركزيَّة، حيث كان يرى أنَّه مع بعض المراسلات الوديَّة للقِوَى الأوربيَّة، خاصَّةً بريطانيا، يمكن إعادة حَاكِمِ مصر المتمرِّد محمد علي باشا إلى مكانه في الدولة العثمانيَّة دون إضعافها، أمَّا النُّقطة الأساسيَّة التي كان يهتم بها فكانت تعزيز قوة السُّلطان المتضائلة، حتى لا تُستَخدَم في تفكيك الدَّولة مُستَقبَلًا، لذلك سعى للحصول على حُلُولٍ لا تُضعِفُ بأيِّ شكلٍ من الأشكال قوة الباب العالي، لأنَّ مثل تلك الإصلاحات سَتُقَابَلُ بِرَفضٍ فَورِي من غالبيَّة المجتمع في الدَّولة العثمانيَّة، وكان يُفضِّل تأسيس نظامٍ حكومي ثابتٍ كطريقةٍ مُثلَى لتعزيز الإصلاحات الدَّائمة، فالحكومة برأيه يجب أن تُبنَى على مبادئ وطيدةٍ، وليس حسب رغبات السُّلطان الاعتباطيَّة، مع صعوبة إجراء إصلاحاتٍ حقيقيَّةٍ، ما دامت فترة ولاية كُلَّ وزيرٍ تعتمد على حُسنِ نِيَّةِ السُّلطان. وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ النِّظام الثَّابت الذي يعتمد على القانون سيكون أَفضَلَ ضَمَانٍ لحياة وممتلكات الشَّعب، فإعدامُ المعارضين ومصادرة ممتلكاتهم كانت من الممارسات المؤسفة للسُّلطان كما يُؤَكِّد رشيد باشا، وإذا لم تُصلَح هاته النَّقائص فليس على السُّلطان أن يتوقَّع دعمًا من شعبه في حالة الأزمة[56].

لقد كان رشيد باشا شديد الاقتناع بأنَّ اهتمامات دول أوربا تتماشى مع مطالب الرَّعايا غير المسلمين في الدولة العثمانيَّة، ولذلك طمأن بالمرستون أنَّ هاته الإصلاحات سيكون مُرحَّبًا بها من طرف الجميع، مسلمين وغير مسلمين[57]، وكان على يقينٍ أنَّ الإصلاح ليس سَهلًا، ولكن مع الدَّعم البريطاني سينشأ نظامٌ جديدٌ، من شأنه تعزيز سلطة القانون بدلًا من سلطة الفرد، كما سيتمُّ القضاء على سُوء استخدام السُّلطة، وحاول رشيد باشا

طمأنة مخاوف بالمرستون، مُؤكِّدًا له أنَّ الباب العالي قادرٌ على إنقاذ الدولة العثمانيَّة مع الدَّعم الأوربي، وإعطائها الفرصة لإثبات نفسها[58].

6. خاتمة

في الأخير وبعد هذه الترجمة والعرض لأهمِّ ما ورد في رسالة السَّفير مصطفى رشيد باشا إلى بالمرستون، نجد أنَّه قد سعى جهده لاستمالة الدبلوماسيَّة البريطانيَّة للوقوف إلى جانب الدولة العثمانيَّة في أزمتها مع وَالِيهَا المتمرِّد محمد علي باشا، والسَّعي لتطبيق التَّشريعات الأوربيَّة وفرض هيمنتها على نظام الدَّولة العثمانيَّة، من خلال استصدار الخط الهمايوني (نوفمبر 1839م)، والذي لاقى ترحيبًا كبيرًا من طرف الدُّول الأوربيَّة، إلاّ أنَّه أَثَارَ جَدلاً عنيفًا واستنكارًا في الرأي العام العثماني، لا سيما من طبقة العلماء التي عارضته بشدَّةٍ، كما عارض الكثيرون فيما بعد إصلاحات كل رجال التَّنظيمات، حيث بلغت الاتِّجاهات الإسلاميَّة المناوئة لحركة التَّنظيمات ذروتها، وانبثق فكرٌ إصلاحيٌّ اجتماعيٌّ سياسيٌّ وجد جذوره في التَّقاليد الإسلاميَّة وبدأ يأخذ بملامحه منذ عصر السُّلطان عبد العزيز، ثم وجد أرضيةً له على يد السُّلطان عبد الحميد الثَّاني.

ومهما يكن من أمرٍ فقد اختلفت الآراء –بل وتناقضت أحيانًا– في تقييم سيرة وإنجازات رشيد باشا، فيرى بعض المؤرِّخين أنَّه أكبر دبلوماسي في تاريخ الدَّولة العثمانيَّة، آمن بأن العالم أصبح يُدار بالدُّبلوماسيَّة وليس بالقوَّة والعَسكَر، فهيَّأ فريقًا أعدَّهُ إعدادًا خاصًّا، وَهُم من أُطلِقَ عليهم "أنصار التَّنظيمات"، وحوَّل بذلك إدارة الدَّولة من يد السُّلطان إلى البيروقراطيَّة (كبار الموظَّفين)، وكانت آراؤه في السِّياسة الخارجيَّة تتلخَّصُ في محاولة انتهاج سياسةٍ موازيةٍ على قدر الإمكان لبريطانيا وعدم مُجابهتها، وبذلك يمكن للدَّولة العثمانية–حسب رؤيته– مُجابهة جميع الدُّول الأخرى، كما أنقذ الدَّولة من أزماتٍ عديدةٍ وهذا رغم ما كان يحيط عمله من عراقيل ومعارضةٍ وانتقاداتٍ، وفي المقابل يرى آخرون أنَّه لم يكن مرضيًا عنه في نظر العلماء وغالبية المجتمع العثماني المسلم، لمناصرته للسِّياسات الأوربيَّة وبالأخصِّ البريطانيَّة، ومُناصرته للماسونيَّة حينما كان سفيرًا، بل وأحد دُعاتها المتحمِّسين بعد عودته لتركيا.

7. قائمة المراجع:

1.المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

1) ألكسندروفنا دولينا نينل، **الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر**، ترجمة: أنور محمد إبراهيم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1999.

2) أوزتونا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية**، مجلد2، ترجمة: عدنان محمود سلمان مراجعة: محمود الأنصاري، الطبعة1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، أستانبول، 1999.

3) بول دومون، "**فترة التَّنظيمات1839–1878م**"، في: **تاريخ الدولة العثمانية**، إشراف: روبير مانتران، تر: بشير السباعي،الجزء2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992.

4) روحي الخالدي محمد، **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**، تقديم وتحقيق: خالد زيادة، الطبعة 2 مزيدة ومنقحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2019.

5) شعبان صوان محمد، **يوميات السلطان الحوادث الهامة في تاريخ الدولة العثمانية ودلالاتها**، الطبعة1، ابن النديم– دار الروافد الثقافية ناشرون، الجزائر–بيروت، 2020.

6) صالح علي أحمد، **الإصلاحيون في الدولة العثمانية في القرن 19م دراسة لإصلاحات مدحت باشا**، تقديم: رأفت غنيمي الشيخ، الطبعة1، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2017.

7) عبد الرحيم مصطفى أحمد، **في أصول التاريخ العثماني**، الطبعة 3، دار الشروق، القاهرة، 2003.

8) عمر يوسف حسين، **سياسة بريطانيا اتجاه الدولة العثمانيَّة 1839–1909**، الطبعة2، دار نور للنشر، ساربروكن ألمانيا، 2016.

9) كوندز أحمد آق وأوزتورك سعيد، **الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية**، دون طبعة، وقف البحوث العثمانية، استانبول، 2008.

10) الكيالي عبد الوهاب وآخرون، **موسوعة السياسة**، الجزء1، الطبعة2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993.

11)لهارد أنكه، **تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية**، نقله إلى العثمانية: علي رشاد، ترجمة: محمود علي عامر، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2017.

12) لوتسكي فلاديمير، **تاريخ الأقطار العربية الحديث**، تر: عفيفة البستاني، الطبعة9، ANEB –دار الفارابي، الجزائر–بيروت، 2007.

13) لورنس هنري، **الأزمات الشرقية: المسألة الشرقية واللعبة الكبرى 1768–1914**، ترجمة: بشير السباعي، الطبعة1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018.

14)مخلوف ماجدة، **تحولات الفكر والسياسة في التاريخ العثماني رؤية أحمد جودت باشا في تقريره إلى السلطان عبد الحميد الثاني**، الطبعة1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2009.

15) معلوف يوسف نعمان، **خزانة الأيام في تراجم العظام**، مطبعة جريدة الأيام، نيويورك، 1899.

16)هاملتون جب وهارولد بون، **المجتمع الإسلامي والغرب دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن18م**، ترجمة: أحمد إيبش، الطبعة1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2012.

17) بيلافيتش تشارلز و بيلافيتش باربارا، **تفكيك أوربا العثمانية إنشاء دول البلقان القومية 1804–1920**، ترجمة: عاصم الدسوقي، دون طبعة، دار العالم الثالث، القاهرة، 2007.

باللغة الأجنبية:

1) Bailey Frank Edgar, **British Policy and the Turkish Reform Movement: A Study in Ang lo-Turkish Relations**, 1826-1853, Cambridge 19.
2) Barker John, **Syria And Egypt Under The Last Five Sultans Of Turkey**, Vol.2, New York, 1973.
3) Cevdet Pasa, **Tezakir**, N.02, Ankara, 1953.
4) Cleveland William L; Bunton Martin, **A History of the Modern Middle East**, 4th ed, Westview Press, 2004.
5) Derin, F.Ç, ed Ali Rıza ve Mehmet Galip, **Onüçüncü Asr-ı Hicride Osmanlı Ricali Geçen Asırda Devlet Adamlarımız**, 2 vols, İstanbul,1977.
6) Hurewitz J.C, **Diplomacy In The Near And Middle East, A Documentary Record 1535-1914**, Vol.1, D.Van Nostrand Co, London, 1948.
7) Karal E.Z, **Osmanlı Tarihi Nizam-ı Cedid ve Tanzimat Devirleri 1789-1856**, vol.5, Ankara, 1983
8) Kelly J.B, **Britain and the Persian Gulf 1795-1880**, The Clarendon Press Oxford, London, 1968.
9) Webster Charles, **The Foreign Policy of Palmerston 1830-41**, the Liberal ovement and the Eastern Question, 2 vols, New York, 1969.

3.المقالات العلمية:

باللغة العربية:

1) "**أشهر الحوادث وأعظم الرجال (مصطفى رشيد باشا 1215–1274هـ)**"، مجلة الهلال، العدد22، الجزء22، السنة2، 15 يوليه 1894.
2) عماش عبد الله أحمد، "**نظرة جديدة على هدف السلطان محمود الثاني في استدعاء القوات الروسية إلى اسطنبول في 1833م، دراسة من الأرشيف العثماني**"، مجلة آداب الفراهيدي، العدد36، جانفي 2019.
3) محمد عبد الوهاب سيد أحمد، "**ستراتفورد كانينج والدولة العثمانية نموذجًا لدور السفراء البريطانيين في صناعة الأحداث في القرن التاسع عشر**"، مجلة بحوث الشرق الأوسط؛ العدد28، جامعة عين شمس–مركز بحوث الشرق الأوسط، القاهرة، 2011.
4) مردين شريف، "**أثر الثورة الفرنسية في الإمبراطورية العثمانية**"، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية اليونيسكو، العدد119، مصر، فيفري1989.

باللغة الأجنبية:

1) Baysun, C, "**Mustafa Reşid Paşa**", Tanzimat I: Yüzüncü Yıl Münasebetiyle, M.E.B, İstanbul, 1940.
2) Eren, A.C,"**Tanzimat**", İslam Ansiklopedisi, İstanbul, 1970, vol.11, ereafter, Eren, "Tanzimat"
3) Munazarz Muhammdiyye, **Islam Ansiklopedisi**, Cilt.31, Istanbul, 2006.
4) Yuksel Celik, "**Mustafa Resid Pasha**", In Encylopaedia of the Ottoman Empire, Facts on File Inc, New York, 2009.
5) Zurcher Erik Jan, "**Reshid Pasha Mustafa**", in Encylopedia of Islam, 8 (New ed), E.J. Brill, Leiden, 1995.

4. الرسائل والأطروحات الجامعية:

1) دامس عقيل الرويلي ليلى، **السُّلطان محمود الثَّاني وإصلاحاته 1808–1839**، رسالة ماجستير، إشراف: وليد العريض، جامعة اليرموك، الأردن، 2012–2013.
2) عبدي رشيد ميكائيل محمد، **مصطفى رشيد ودوره في السياسة العثمانية 1800–1858م**، رسالة ماجستير، إشراف: إبراهيم العدل المرسى، ورياض محمد الرفاعي، كلية الآداب جامعة المنصورة، القاهرة، 2014.

5. الوسائط الالكترونية:

1) Stanley Rodkey Frederick, **"Reshid Pasha's Memorandum of August 12, 1839"**, The Journal of Modern History , Vol.2, No.2, The University of Chicago Press, (Jun,1930).
[Online]. X:X. Available: http://www.insanbilimleri.com/en
Stable URL: https://www.jstor.org/stable/1872314
2) Subaşı Turgut, **"Anglo-Ottoman relations in the nineteenth century: Mustafa Reşid Paşa's Memorandum to Palmerston, 11 August 1839"**, International Journal of Human Sciences,2011, P.1733, [Online]. X:X. Available: http://www.insanbilimleri.com/en
3) Subaşi Turgut, **"Mustafa Reşid Pssa'nin İngliz Dişişleri Temsilcileriyle İlişkileri"**, Osmanlı'da Siyaset ve Diplomasi, Sakarya Üniversitesi. https://www.academia.edu/31660637/Mustafa_Re%C5%9Fid_Pa%C5%9Fan%C4%B1n_%C4%B0ngiliz_D%C4%B1%C5%9Fi%C5%9Fleri_Temsilcileriyle_%C4%B0li%C5%9Fkileri

8. الهوامش والتعليقات:

[1] يرى المؤرِّخ التُّركي "أوزتونا" بأنَّ أغلب مؤرِّخي التَّاريخ العثماني وقعوا في خطأٍ جوهري غير قابلٍ للنِّقاش، حينما قالوا بأنَّ "مصطفى رشيد باشا" هو رائد التَّنظيمات التي تعتبر بدايةً لتركيا الحديثة، والحقيقة أنَّ رائد هذه التَّنظيمات هو السُّلطان محمود الثَّاني، إذ لولا إصلاحاته الجذريَّة، و"الواقعة الخيريَّة" سنة 1826م، لما أَمْكَنَ تحقيق هذه التَّنظيمات. **ينظر:** يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، مج2، تر: عدنان محمود سلمان مر: محمود الأنصاري، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، أستانبول، 1999، ص27.

[2] أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، **الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية**، د.ط، وقف البحوث العثمانية، استانبول، 2008، ص413. ونشير إلى أن هناك اختلافٌ بين المصادر في تحديد سنة ميلاده، فيشير معلوف مثلًا أنَّ رشيد باشا من مواليد سنة 1799م. **ينظر:** يوسف نعمان معلوف، **خزانة الأيام في تراجم العظام**، مطبعة جريدة الأيام، نيويورك، 1899، ص208.

[3] دومون بول، "**فترة التَّنظيمات 1839–1878م**"، في: **تاريخ الدولة العثمانية**، إشراف: روبير مانتران، تر: بشير السباعي، ج2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص67؛

William L.Cleveland; Martin Bunton, **A History of the Modern Middle East**, 4th ed, Westview Press, 2004, p82.

[4] عبدي، المرجع السابق، ص42.

[5] محمد روحي الخالدي، **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**، تقديم وتحقيق: خالد زيادة، ط2 مزيدة ومنقحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2019، ص65.

[6] Muhammdiyye Munazarz, **Islam Ansiklopedisi**, Cilt.31, Istanbul, 2006, S348.

[7] دومون، المرجع السابق، ص67.

[8] Erik Jan Zurcher, **"Reshid Pasha Mustafa"**, in Encylopedia of Islam, 8 (New ed), E.J. Brill, Leiden, 1995, p484.

[9] الكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص31.

[10] تشارلز بيلافيتش وباربارا بيلافيتش، **تفكيك أوربا العثمانية إنشاء دول البلقان القومية 1804–1920**، تر: عاصم الدسوقي، د.ط، دار العالم الثالث، القاهرة، 2007، ص120.

[11] اعتمد الباب العالي في تسوية المسألة المصريَّة على المندوبين ورؤوساء الوفود الدبلوماسيَّة والسُّفراء، ووزراء الخارجيَّة، وبالرَّغم من أنَّ الأزمة المصريَّة سبَّبت قلقًا للباب العالي، إلَّا أنَّ رشيد باشا لم يكن يعتقد أنَّها القضيَّة المركزيَّة، حيث كان يعتقد أنَّه مع بعض المكاتبات الوديَّة للقوى الأوربيَّة خاصَّةً بريطانيا، يمكن إعادة حاكم مصر المتمرِّد إلى مكانه في الدَّولة العثمانيَّة دُون إضعافها. أمَّا استرداد الجزائر من فرنسا بالمباحثات السِّياسيَّة التي بذلها الدُّبلوماسي رشيد باشا وغيره، فلم يكن مُمكنًا، بالنَّظر لحالة الضَّعف التي كانت تعيشها الدَّولة العثمانيَّة، وفي نفس الوقت لم يَكُن بِوُسعِهَا أن تسلك طُرُقًا أخرى للوصول إلى هدفها. **ينظر**: الكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص137؛

Turgut Subaşı, **"Anglo-Ottoman relations in the nineteenth century: Mustafa Reşid Paşa's Memorandum to Palmerston, 11 August 1839"**, International Journal of Human Sciences,2011, P.1738.
[Online]. X:X. Available: http://www.insanbilimleri.com/en

[12] شغل رشيد باشا منصب السفارة لعدة فترات متقطعة، بدايةً بالعاصمة الفرنسية باريس في الفترة (1834م –مارس 1835م)، ثم لفترةٍ ثانيةٍ (جويلية 1835–اكتوبر 1836م)، لِيُنقَلَ بعدها سفيرًا في لندن (سبتمبر1836–1837م) ولمرَّةٍ ثانيةٍ سنة 1839م، كما عاد سفيرًا في باريس للمرَّة الثَّالثة في ديسمبر1839م، وللمرَّة الرَّابعة (جويلية 1841–ديسمبر 1842م)، وللمرَّة الخامسة والأخيرة (أكتوبر 1843–أكتوبر 1845م).**ينظر**: نينل الكسندروفنا دولينا، **الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر**، تر: أنور محمد إبراهيم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1999، ص56، 68، 72.

[13] رشيد ميكائيل محمد عبدي، **مصطفى رشيد ودوره في السياسة العثمانية 1800–1858م**، رسالة ماجستير، إشراف: إبراهيم العدل المرسى، ورياض محمد الرفاعي، كلية الآداب جامعة المنصورة، القاهرة، 2014، ص88.

[14] الكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص72.

[15] Celik Yuksel, **"Mustafa Resid Pasha"**, In Encylopaedia of the Ottoman Empire, Facts on File Inc, New York, 2009, p423.

[16] أحمد عبد الرحيم مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص ص193-194.

[17] تولَّى رشيد باشا منصب وزارة الخارجيَّة في الدَّولة العثمانيَّة أربع مرَّاتٍ، لمدة تزيد عن ستِّ سنواتٍ في مجموعها كانت الأولى خلال الفترة (جويلية 1837-مارس1839)، والثَّانية (ديسمبر1839-مارس1841م) أمَّا المرَّة الثَّالثة فكانت خلال الفترة (أكتوبر1845-سبتمبر1846م)، وللمرَّة الأخيرة في الفترة (ماي 1853-ماي 1855م). **ينظر**: أوزتونا، مج2، المرجع السابق، ص58

[18] لهارد، المصدر السابق، ص35.

[19] شريف مردين، **"أثر الثورة الفرنسية في الإمبراطورية العثمانية"**، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية اليونيسكو، ع119، فيفري، مصر، 1989، ص25.

[20] للإطلاع على علاقات مصطفى رشيد باشا مع ممثلي الشؤون الخارجية البريطانية: جون بونسبي، جورج هاملتون أبردين، هنري جون بالمرستون، وستراتفورد كانينج. **ينظر**:

Turgut Subaşi, **Mustafa Reşid Paşa'nin İngliz Dişişleri Temsilcileriyle İlişkileri**, Osmanlı'da Siyaset ve Diplomasi, SS91-109.

[21] Cevdet Pasa, **Tezakir**, N.02, Ankara, 1953, SS9-10.

[22] **"أشهر الحوادث وأعظم الرجال (مصطفى رشيد باشا 1215-1274هـ)"**، مجلة الهلال، ع85، ج22، السنة2، 15 يوليه 1864، ص678.

[23] الكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص ص56، 68، 72.

[24] للإطلاع على علاقات مصطفى رشيد باشا مع ممثلي الشؤون الخارجية البريطانية: جون بونسبي، جورج هاملتون أبردين، هنري جون بالمرستون، وستراتفورد كانينج. **ينظر**:

Turgut Subaşi, **Mustafa Reşid Paşa'nin İngliz Dişişleri Temsilcileriyle İlişkileri**, Osmanlı'da Siyaset ve Diplomasi, SS91-109.

[25] Subaşı, **"Anglo-Ottoman relations..**, Op.Cit, P.1733.

[26] يذكر "فرانك إدقار بايلي" في كتابه "السياسة البريطانية وحركة الإصلاح التركية دراسة في العلاقات الأنجلو-تركية 1826-1853" أن الاجتماع وقع يوم 09 أوت 1839م. **ينظر**:

Frank Edgar Bailey, **British Policy and the Turkish Reform Movement: A Study in Ang lo-Turkish Relations**, 1826-1853, Cambridge 19.

نقلا عن:

Subaşi, **Mustafa Reşid Paşa'nin İngiliz Dişisleri Temsil..**,A.G.E,S.98.

[27] طلب رشيد باشا مقابلة الملكة في 9 أوت 1839م، وملاحظة بالمرستون على ظهر الرسالة تقول: "أن أكون غدا في القصر على الساعة الثانية".**ينظر**:

Subaşı, **"Anglo-Ottoman relations..**, Op.Cit, P.1733.

28) Subaşi, **Mustafa Reşid Paşa'nin İngiliz Dişisleri Temsil..**,A.G.E, p100.

(29) توفي السلطان محمود الثاني في 1جويلية 1839م، ودامت سلطنته حوالي 31 عاما، وقد أعلنت أسس التنظيمات التي جهَّزها هو بعد حوالي أربعة أشهر من وفاته. **ينظر**: أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، المرجع السابق، ص23

30) Subaşı, **"Anglo-Ottoman relations..**, Op.Cit, P.1733.

31) Ibid, P.1734.

32) Ibid, P.1734.

(33) بين أوت 1838م–مارس 1839م أجرت الدبلوماسيَّة العثمانية العديد من المباحثات بين عواصم الدُّول الأوربيَّة: لندن، باريس، فيينا والبندقية، وتطوَّرت الأمور كثيرًا سنة 1839م، حيث لعب السَّفير الرُّوسي في استانبول الدَّور الأكبر في تحريض السُّلطان العثماني على إعلان الحرب على قوات محمد علي باشا، فوقعت معركة "نصيبين"، والتي انتصرت فيها قوات محمد علي باشا وتوفي السُّلطان محمود الثَّاني دون أن يعلم نتيجة المعركة. **ينظر**:

John Barker, **Syria And Egypt Under The Last Five Sultans Of Turkey**, Vol.2, New York, 1973, p.191, p236.

34) Frederick Stanley Rodkey, **"Reshid Pasha's Memorandum of August 12, 1839"**, The Journal of Modern History , Vol.2, No.2, The University of Chicago Press, (Jun,1930), pp. 251- 257.
Stable URL: https://www.jstor.org/stable/1872314

35) Subaşi, **Mustafa Reşid Paşa'nin İngiliz Dişisleri Temsil..**,A.G.E, p99.

36) Charles Webster, **The Foreign Policy of Palmerston 1830-41**, Britain, the Liberal ovement and the Eastern Question, 2 vols, New York, 1969.

37) Baysun, C, **"Mustafa Reşid Paşa"**, Tanzimat I: Yüzüncü Yıl Münasebetiyle, M.E.B, İstanbul, 1940, pp723-46.

38)Karal, E.Z, **Osmanlı Tarihi, Nizam-ı Cedid ve Tanzimat Devirleri**, 1789-1856, vol.5, Ankara, 1983

39) Eren, A.C,**"Tanzimat"**, İslam Ansiklopedisi, İstanbul, 1970, vol.11, ereafter, Eren, "Tanzimat"), pp709-65

(40) تولَّى السُّلطان محمود الثَّاني (1808–1839م) العرش العثماني سنة 1808م، وقد فرضت عليه التَّطورات التي شهدتها الدولة إجراء تغييراتٍ مهمَّةٍ، وتنفيذ برنامج إصلاحٍ واسعٍ، هَدَفَ من خلاله إلى استرداد هيبة وقوة الدَّولة خاصَّةً بعد أن بدأت مظاهر الضَّعف تزداد بشكلٍ متواصلٍ، وأدرك أنَّ أيَّ إصلاحٍ عامٍّ لا يمكن أن يتمَّ قبل إصلاح الجهاز العسكري، فجرى في الأوَّل من جوان 1826م محاولة إعادة تنظيم المؤسَّسة العسكريَّة بتأسيس فرقة "الاشكنجيان"، إلَّا أنَّ الانكشاريَّون انتفضوا وخرجوا عن السَّيطرة، ونهبوا قصر الصَّدر الأعظم، وطالبوا بإسقاط الإصلاحيين عندها اعتمد على سلاح المدفعيَّة والضُّبَّاط المؤيدين وعلى العلماء، وقمعت يوم 15 جويلية 1826م آخر ثورةٍ كبيرةٍ للانكشاريَّة، وهي الحادثة التي أُطلق عليها "الواقعة الخيريَّة" Vakayihayriye أي

الحدث السَّعيد. **ينظر:** ماجدة مخلوف، **تحولات الفكر والسياسة في التاريخ العثماني رؤية أحمد جودت باشا في تقريره إلى السلطان عبد الحميد الثاني**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2009، ص39؛ أوزتونا، المرجع السابق، ص676.

(41) أقدم السُّلطان محمود الثَّاني ضمن حركة الإصلاح على إعادة هيكلة الجهاز الإداري، لكن رغم ذلك لم تتَّضح في عهده خطوطًا واضحةً للسياسة الدَّاخليَّة والخارجيَّة، كما ظهرت بعد عهد التَّنظيمات، وإنما اقتصر الأمر على إنشاء بعض المؤسَّسات في كل جانبٍ، لكن يبقى أنَّ هناك ثلاثُ إصلاحاتٍ باتت آثارها واضحةٌ للعيان على مؤسَّسات الدَّولة وعلى المجتمع العثماني، وهي الإصلاحات العسكريَّة، الاقتصاديَّة والتعليميَّة، أمَّا باقي الإصلاحات ومنها الإداريَّة فقد بقيت محدودةً. **ينظر:** ليلى دامس عقيل الرويلي، **السُّلطان محمود الثَّاني وإصلاحاته 1808–1839**، رسالة ماجستير، إشراف: وليد العريض، جامعة اليرموك، الأردن، 2012–2013، ص ص109–110.

(42) Subaşı, **"Anglo-Ottoman relations..**, Op.Cit, P.1735.

(43) Ibid, P.1735.

(44) Ibid, P.1735.

(45) **الباب العالي:** يشير بعض المؤرخين بأنُ مصطلح "الباب العالي" لم يستخدم بمعنى دائرة الصَّدر الأعظم وباب الباشا إلَّا نحو القرن 18م، وينقل عن Von Hammer أنَّ التسمية ربما كانت تطلق على قصر السُّلطان، ثم انتقلت لتعني مقر الصَّدر الأعظم مع انتقال السُّلطة الفعليَّة إليه، أمَّا في القرن 19م لا سيما منذ عهد السُّلطان عبد المجيد (1839–1861م) فقد تحوَّل المصطلح ليدُلَّ بمفرده على الحكومة العثمانيَّة. **ينظر:** جب هاميلتون وبون هارولد، **المجتمع الإسلامي والغرب دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن18م**، تر: أحمد إيبش، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2012، ص186؛ أوزتونا، المرجع السابق، ص339.

(46) Subaşi, **Anglo-Ottoman relations**.., Op.Cit, p.1734.

(47) Ibid, p.1736.

(48) لقد أثبتت الوقائع التاريخية عكس ذلك، فقد تحقَّق زمن ضعف الدولة العثمانيَّة، حُلُمُها في الانضمام لمجتمع الدُّول الأوربيَّة بعد حرب القِرْم 1853–1856م، وتأكَّد اتجاه الدَّولة نحو تغريب المؤسَّسات والمجتمع بعد صدور مرسوم التَّنظيمات الثَّاني "خط همايون" سنة 1856م، والذي حقَّقَ مرَّةً أخرى إصلاحاتٍ داخليَّةٍ لكن وِفقَ وَصَفَات خارجيَّةٍ، وانخدعت الدَّولة العثمانيَّة بمنحها امتيازين هُما:"التعهُّد بضمان استقلال الدَّولة العليَّة وسلامتها"، وهو المبدأ نفسه الذي سُلخت بموجبه العديد من ولاياتها ومقاطعاتها، و"الاتفاق على جعل الدَّولة العليَّة دولةً أوربيَّةً وقُبُولِهَا في المجتمع الأوربي"، ولم تَرَ الدَّولة فائدةً لهذا الامتياز، بل كانت نتيجته مزيدًا من التَّدخُّلات في شُؤون الدَّولة، بعد ازدياد ونمو ظاهرة تمرُّد القوميَّات والأقليَّات. **ينظر:** محمد شعبان صوان، **يوميات السلطان الحوادث الهامة في تاريخ الدولة العثمانية ودلالاتها**، ط1، ابن النديم– دار الروافد الثقافية ناشرون، الجزائر–بيروت، 2020، ص ص232–233.

(49) **ستراتفورد كانينج (1786–1880م) Stratford Redcliffe Caning**: التحق بالسلك الدُّبلوماسي الانجليزي في سِنٍّ مُبَكِرَةٍ منذ سنة 1806م، عُيِّن سفيرًا لدى الباب العالي خلال الفترة (1825–1831م)، ثم قدَّم استقالته لخلافه مع وزير الخارجية، لكنَّه أُعِيدَ مرَّةً أخرى بين سنوات (1842–1857م) وهي الفترة التي شهدت انحدار أكبر للدَّولة العثمانيَّة بعد دخولها الطَّور الثَّاني من المسألة الشَّرقيَّة، وقد كان له تأثيرٌ كبيرٌ في البلاط العثماني، بل إنَّ البعض نظر للدَّولة العثمانيَّة كتابعٍ لبريطانيا وتحت حمايتها. **ينظر**: أحمد محمد عبد الوهاب سيد، **"ستراتفورد كانينج والدولة العثمانية نموذجًا لدور السفراء البريطانيين في صناعة الأحداث في القرن التاسع عشر"**، مجلة بحوث الشرق الأوسط؛ ع28، جامعة عين شمس–مركز بحوث الشرق الأوسط، القاهرة، 2011.

(50) لا يوجد سجل لرد بالمرستون على هذه المذكرة ، باستثناء مذكرة مؤرخة في 17 أغسطس 1839م، أرسلت إلى رشيد باشا من قبل وزارة الخارجية، نصت على ما يلي: "يقدم الفيكونت بالمرستون تحياته إلى رشيد باشان ويتشرف بالإقرار باستلام مذكرته المؤرخة 11 أغسطس المرفقة بمذكرة على دولة تركيا ، ويطلب من رشيد باشا قبول شكره على تبليغ تلك الورقة".17 أغسطس 1839م. **ينظر**:

Subaşi, **Anglo-Ottoman relations**..,Op.Cit, p1736.

(51) في ظِلِّ التَّشاؤُم البريطاني حِيَالَ إمكانيَّة إصلاحٍ حقيقي في الدولة العثمانيَّة، فُهِمَ الأمر من الجانب الرُّوسي بِوَصفِهِ انضمامًا لفكرة اقتسام وُدِّي للأملاك العثمانيَّة، فَتَقَدَّم نيقولا (نيكولاي) الأوَّل في 9 جانفي 1853م بعرضه الشَّهير على السَّفير البريطاني لدى سان بطرسبورج قائلًا: "إنَّ تركيا لهي في اختلالٍ كاملٍ، ويجب أن نتفاهم بشأنها، أَعتَبِرُ أَنَّ بين أيدينا رَجُلًا مريضًا، أَقُولُ لك بصراحةٍ إنَّه قد يكون سُوءُ حَظٍّ عظيمٍ، لو تعيَّن عليه الافلاتُ في يومٍ من هذه الأيام، خاصَّةً قبل أن تكون كُلُّ التَّرتيبات الضَّرورية قد اتُّخِذَت، لكن أخيرًا ليست هذه البتَّة هي اللَّحظة المناسبة لِأُحَدِثَكُم عن ذلك". **ينظر**: هنري لورنس، **الأزمات الشرقية: المسألة الشرقية واللعبة الكبرى 1768–1914**، تر: بشير السباعي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018، ص280، ص81.

(52) في ظِلِّ التقدُّم المصري وتنامي قوة محمد علي باشا، استنجد السُّلطان العثماني بالقيصر الرُّوسي في 21 جانفي 1833م واستجابت بتقديم مساعداتٍ عسكريَّة، كما وقَّعت مع الدَّولة العثمانيَّة اتفاقية "هونكار اسكله سي" Hunkar Iskelesi التي نصَّت على تقديم المساعدة، ممَّا شكَّل صدمةً لبريطانيا، التي اعتبرت الاتفاقيَّة معاهدة حمايةٍ وليس تحالف. **ينظر**: أحمد عماش عبد الله، **"نظرة جديدة على هدف السلطان محمود الثاني في استدعاء القوات الروسية إلى اسطنبول في 1833م، دراسة من الأرشيف العثماني"**، مجلة آداب الفراهيدي، ع36، جانفي 2019، ص242؛

J.C. Hurewitz, **Diplomacy In The Near And Middle East, A Documentary Record 1535-1914**, Vol.1, D.Van Nostrand Co, London, 1948, p261.

(53) حول قرار السلطان محمود الثاني إعدام رشيد باشا. **ينظر**:

Derin, F.Ç, ed, Ali Rıza ve Mehmet Galip, Onüçüncü Asr-ı Hicride Osmanlı Ricali Geçen Asırda Devlet Adamlarımız, 2 vols, İstanbul,1977.

نقلا عن:

Subasi, **Anglo-Ottoman relations**..,Op.Cit, p1738

(54) يُلقي البعض بِالتُّهم على رشيد باشا، بأنه استغلَّ صغر سن السُّلطان عبد المجيد ليسيطر على شخصيته، مُستغلًا بذلك إصدار المراسيم الإصلاحية في الدَّولة، وأنَّه قلَّص بذلك من سلطات السُّلطان، إلَّا أنَّ أن رشيد باشا قام بتأدية دوره في تقوية دور الدَّولة، رغم التأثير البريطاني عليه. **ينظر**: أحمد صالح علي، **الإصلاحيون في الدولة العثمانية في القرن 19م دراسة لإصلاحات مدحت باشا**، تقديم: رأفت غنيمي الشيخ، ط1، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2017، ص77.

(55) **الأزمة المصرية**: كان والي مصر محمد علي باشا يعتقد بأنَّه قدَّم الكثير من الخدمات للدَّولة، لذا طلب مكافأته من السُّلطان بمنحه ولاية الشَّام له ولأبنائه وراثيًا، لكنَّ السلطان رفض، مقابل موافقته منحه ولاية مصر، فقرَّر الحصول على مطالبه عسكريًا، حيث استطاع ابنه إبراهيم باشا الاستيلاء على بلاد الشَّام، وعندما أرسل محمود الثَّاني آخر جيوشه لوقف تَقَدُّمِهِ انتصر عليه في منطقة "قونية". **ينظر**: يوسف حسين عمر، **سياسة بريطانيا اتجاه الدولة العثمانيَّة 1839–1909**، ط2، دار نور للنشر، ساربروكن ألمانيا، 2016، ص35؛

J.B. Kelly, **Britain and the Persian Gulf 1795-1880**, The Clarendon Press Oxford, London, 1968, pp.129, 271.

(56) Subaşi, **Anglo-Ottoman relations..**,Op.Cit, p1738.

(57) بعد تعميم المرسوم على الولايات، واجه معارضةً شديدةً من قبل العلماء الذين كَفَّرُوا رشيد باشا، واعتبار الخط مُنَافِيًا لِنُصُوصِ الشَّريعة الإسلاميَّة وبخاصَّةٍ المساواة بين المسلمين والمسيحيِّين، حيث أصابت حركة التَّنظيمات المجتمع العثماني في الصَّميم، وبناءً على ذلك سقط رشيد باشا من أعين المسلمين، ولم يتحرَّج السُّلطان عبد المجيد نفسه من إبداء استيائه من الإصلاحات، وكان يعتبر "التَّنظيمات" دائما كتنازلاتٍ. **ينظر**: أنكه لهارد، **تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية**، نقله إلى العثمانية: علي رشاد، تر: محمود علي عامر، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2017، ص ص42–44؛ فلاديمير لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية الحديث**، تر: عفيفة البستاني، ط9، ANEB –دار الفارابي، الجزائر–بيروت، 2007، ص150.

(58) Subaşi, **Anglo-Ottoman relations..**,Op.Cit, p1738.